ضخم مفيدة. ومن جملة شيوخه الإمام مُحمَّد بن عليّ الوشلي، فإنه لازمه في الحضر والسفر، ثم لما كمل في جميع العلوم دعا الناس إلى مبايعته فبايعوه في تاسع شوّال سنة ٨٧٩ تسعٍ وسبعين وثمانمائة، وكانت الدعوة بوطنه هجرة فَلَلَه، ودخل تحت طاعته بلاد السودة وكحلان والشرفين والبلاد الشامية، وعلماء سائر محلات الزيدية قد بايعوه وإن لم يجبه جميع أهلها. وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وسائر الخصال الشريفة، وله شغف بالعلم عظيم، ولديه من التسليم للحق واتباع الدليل ما لم يكن لغيره، حتى رأيته قد حرّر بحثاً في مسألة انحصار الإمامة في بعض بطون قريش، وتكلم بالصواب مع كونه إذ ذاك إماماً. واستمرت إمامته إلى أن (مات) في شهر رجب سنة ٩٠٠ تسعمائة، ومدة خلافته إحدى وعشرون سنة.

(٢٩٤)

(السيد عليّ بن إبراهيم بن عليّ ابن إبراهيم بن أحمد بن عَامِر الشهيد)

المتقدم ذكره. ولد بشهارة سنة ١١٤٣ ثلاثٍ وأربعين ومائة وألف، وقيل سنة (١١٣٩) وقرأ بها على أهل العلم هنالك. ثم ارتحل إلى كوكبان، وقرأ على من بهِ من العلماء كالسيد عِيسَى بن مُحمَّد بن الحُسَيْن، ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ على السيد العلَّامة أحمد بن مُحمَّد بن إسْحَاق وغيره، كالقاضي أحمد بن صَالح بن أبي الرِّجال، واستقر بها وتزوَّج، وكان إماماً في جميع العلوم، مُحقِّقاً لكل فنٍّ، ذا سكينة ووقار قلَّ أن يوجد له نظيرٌ في ذلك، كان إذا اجتمع بأهل العلم وجرت المباحثة في فنٍّ من فنون العلم لا يتكلم قطُّ بل ينظر إليهم ساكتاً، فيرجعون إليه بعد ذلك فيتكلم بكلام يقبله الجميع، ويقنع به كل سامع، وكان هذا دأبه على مرور الأيام، لا يعتريه الطيش والخفة في شيء كائناً ما كان، ولا يوجد له عدوٌّ قطّ لحفظِ لسانه والتفاته إلى ما يعنيه وعدم اشتغاله بما لا يعنيه، مع كونه غير متعلق بالمناصب الدنيوية التي هي منشأ العداوة إما لحسدٍ أو لغيرةٍ، فلهذا كان الثناء عليه كلمة إجماع، والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع. وكان يسلك هذا المسلك مع أهله وأولاده، فإنهم إذا وقع لهم السهو عن شيء مما يحتاج إليه من طعام أو شراب أو نحوهما لم يقع منه الطلب لذلك منهم فضلاً عن أن يتجرَّد عليهم ويلومهم. ولقد أخبرني أنه خرج يوماً مع جنازة وقت الغداء، وما رجع إلّا قبل الظهر فظن أهله أنه قد تغدى، لأنه كان كثير الضيافات عند معارفه، فوصل إلى مكانه واستمر جالساً إلى وقت العشاء لم يطلب منهم شيئاً، ومثل هذا عجيب. وأخبرني أنه دخل ليلةً منزله ووقف في المكان الذي يأوي إليه، ولم يشعر أهله بذلك فبقي إلى مقدار نصف الليل في ظلمة بلا مصباح ولا قهوة ولا غير

ذلك مما يحتاج إليه في السَّمر مع أنه كان محبّاً للسَّمر. وإذا كانت هذه معاملته لأهله فما ظنّك بمعاملته لغيرهم. ولا أعلم أنه غضب قطُّ أو خاصم في شيء منذ عرفته إلى أن مات. وليس له نظير في حفظ الأشعار لأهل الجاهلية والإسلام، وحفظ الأخبار التي لا يدري بشيءٍ منها غالب أهل العصر، ومع هذا فإنه يحضر مواقف الاجتماع فيتحدث متحدث بخبر من الأخبار فيزيد وينقص ويغلط ويصحّف ويحرّف وهو مُصْغٍ إليه مُقبلٌ عليه كأنَّه لا يعرف من ذلك شيئاً، فإذا فرغ ذلك المتحدث من حديثه استحسنه صاحب الترجمة وسكت، ولا يستدرك عليه في شيء مع أنه يعلم بتفصيل ذلك الخبر وصحيحه وفاسده، اللَّهم إلَّا أن يسأله سائل عن تلك الحكاية أو يسترشد منه الحاكي فإنَّه حينئذٍ يمليها بعبارة عذبة ويصوغها بألفاظ فصيحة. وإذا كانت مشتملةً على شيء من الشعر ذكره لا يغادر منه شيئاً حتى يخجل حاكي تلك القضية، ويندم على إقدامه. وهكذا إذا روى أحد من هو بحضرته شيئاً من الشعر أصغى إليه وقد لا يدري ذلك الراوي لمن الشعر، وقد يصحف في بعضه، وقد لا يحفظ إلّا شيئاً يسيراً من القصيدة، وصاحب الترجمة ساكت لا يتكلم، فإذا سأله سائل عن ذلك، روى تلك القصيدة من أولها إلى آخرها، وذكر السبب الذي قيلت لأجله، وترجم لقائلها ترجمةً لا يدع من أحواله شيئاً. وقلَّ أن يجري بحضرته شيء لا يعرفه، وهو قليل التكلف مائلٌ إلى الخمول، ليس له رغبة في الظهور ولا يتكلم في مسألة إلَّا وهو على قدم راسخةٍ، وإلَّا رجع إلى البحث، بل كثيراً ما يرجع إلى البحث وإن كان يعلم بالمَسألة، فإني سمعت منه صحيح البخاري من أوله إلى آخره بلا فوت، فكانت تعرض مباحثات حال القراءة فيسمع السؤال ثم يصمت ويأخذ الشروح فينظر فيها فإنْ وجد ما يفيد أملاه وإن لم يجد تكلم من عند نفسه بكلام في غاية الحسن والإفادة.

ومما كتبته إليه في أيام قراءتي عليه هذان البيتان وفيهما طرد عجيب: [من الطويل]

إمام البَهاليلِ الأُولى سَبقُوا إلى ... سَماءِ المعالي آمراً بَعْدَ آمِرِ[1]

عليّ بن إبراهيم بن عليٍّ بـ ... ـن إبراهيمَ بن أحمدَ بن عَامِرِ

وقد أخذ عنه الطلبة في فنون متعددة، وكانوا يقصدونه في الغالب إلى بيته. وكان للعصر به جمال، وللعلم وأهله به أنس، وله في الشعر يدٌ طولى، وقصائده الطنانة موجودة بأيدي الناس، فمن شعره في وصف البنادق من جملة قصيدة: [من الطويل]

فَواغرُ أفواهِ الثَّعابين كُلَّما ... نَفَخْنَ قَتاماً تُسْتَطارُ مَشاعِلُ[2]

---

(١) البهاليل: جمع البهلول: السَّيِّد الجامع لصفات الخير.

(٢) فَواغرُ: من فَغَرَ فَاهُ: فَتَحهُ. القتام: الغبار.

حَكَى شَكْلَها الحيَّات لَكِنْ صَفِيرُها زَئيرٌ وفي الأحشاءِ مِنْها الغَوائلُ[١]
كَراسيها أذنابها وعُيونها وراء ولا يَخْفَى عَليْها المَقاتلُ

ولو لم يكن له إلّا هذه الأبيات لكفته، فإنها غاية لا تُدرك، وهي تدلّ على ما أولاها من أدبه الغضّ. ومن قصائده الطنانة هذه القصيدة: [من الرمل]

خلَسُ اللَّحْظِ تُذيبُ المُهَجَا فبِها الدمعُ يُرَى مُمتزِجَا
لا تسمْ لحظكَ في مَرْعَى الهَوَى فَيُلاقي القلبُ مِنْهُ حَرَجَا[٢]
رَاشقاتٌ وَتُسمَّى نظراً بِنبالٍ وَتُسمَّى دُعُجَا[٣]
لَمْ تُؤثِّرْ في سِوَى أفئدةٍ وَهْي فِيهنَّ تُبين الشَّنَجَا[٤]
كانَ عَهْدي قَبْلَها أنّ النُّهَى للتصابي مانع أنْ يَلِجَا[٥]
يا خَليليَّ أراهَا مِنْكُما ظلّة بالسّفح إنْ لَمْ تَعُجَا[٦]
وَإذا ظَلّلتماه فَانْشُقَا مِنْ شَميمِ الدَّارِ عَرْفاً أَرِجَا[٧]
إنَّما اعْتَدُّ مِنْ عُمْرِي بما كُنتُ فيهِ بالصّبا مُبتهِجَا[٨]
يَملأ التّهويمُ عَيْنيّ وَلَمْ يَكُ قَلبي بالهَوَى مُنزعِجَا[٩]
كَمْ سَرقْنَا باللِّوى في غَفْلةٍ مِنْ عَوادي الدَّهرِ غيثاً سَجْسَجَا[١٠]
تَرْقُص الأغصانُ فيه طَرباً وَعَليْهِ الطَّيرُ تَشْدُو هَزَجَا[١١]
وَدُجًى قَدْ أَلَّفَ الشَّمْلَ إلى أَنْ فَرَى الصُّبحُ لِأُفقٍ وَدَجَا[١٢]

---

(١) الغوائل: الدواهي، والمصائب الشديدة.
(٢) سَامَ الإبل ونحوها في المرعى: خلَّاها ترعى، استعاره لِعَيْنِهِ.
(٣) راشقات: راميات. عيون دعج: اشتدَّ بياضها وسوادها، واتَّسعت.
(٤) الشَّنَجُ: التَّقبُّضُ.
(٥) النُّهَى: العقل. التصابي: الميل، أو الرجوع إلى الصِّبا والفُتوَّة. يلجُ: يدخل.
(٦) تَعوجُ: تميل، أو تنزلُ، أو تُعرِّجُ.
(٧) نَشَقَ الشيءَ: شَمَّهُ. العَرْفُ: الرائحة الطيبة. الأَرِجُ: الفَوَّاحُ.
(٨) أَعْتَدُّ: أهْتَمُّ، أو أُدخلُ في العَدِّ، أو أحسبُ.
(٩) التهويم: الشعور بالحاجة إلى النوم.
(١٠) السَّجْسَجُ: الطَّيِّب، اللطيف، ومنه يقال: يوم سَجْسَجٌ: لا حَرَّ فيه ولا برد، وهواء سَجْسَجٌ: معتدلٌ طيّبٌ.
(١١) تشدو: تغني. الهَزَجُ: غناء فيه تَرنُّمٌ وتطريب.
(١٢) الدُّجَى: ظلمة الليل. أَلَّف الشمل: جمعه. فَرَى الشيءَ: شَقَّه. الوَدَجُ: عرقٌ في العُنق.

وَلَـيـالٍ بـالـتَّـدانـي لُـؤلـؤٌ قَـدْ أُعِـيـدتْ بـالـتـنـائـي سَـبَـجَـا[١]
إذ يـلـفُّ الـحـبُّ مُـشـتـاقـيْ هَـوًى وَعَـفـافـاً بـالـغَـرام امْـتَـزَجَـا
لـم يَـشُـقْـنـي ظِـلُّ أفـنـانِ الـحِـمَـى إنَّـمـا أشْـتَـاقُ بَـدْراً غَـنِـجَـا[٢]
حَـركـاتُ الـحُـسـنِ فـي أعـطـافِـهِ يَستميلُ اللُّبَّ عَنْ أهلِ الحِجَى[٣]
آه مِـنْ عَـيْـنٍ بِـهِ دَامـيـةٍ وَهْيَ في الدّمعِ تخوضُ اللُّجَجَا[٤]
كُـلّـمـا لامَ عَـلـيْـه عَـاذلٌ وَجَـدَ الـمَـسْـمَـعَ بـابـاً مُـرْتَـجَـا[٥]
لا سَـمَـتْ بـي عُـقْـوةٌ مـنْ هَـاشـمٍ وبـخـالٍ بـالـمـعـالـي وَشَـجـا[٦]
إنْ أخـافـتـنـي الـقَـنَـا مِـنْ دُونِـهِ بِـعَـوالـيـهـا حـسـيـنـا سُـرُجَـا[٧]
لَأُقـيـمـنَّ عـلـى رُغـمِ الـنَّـوى مَـنْـسِـمَ الـحـبِّ وأعـلـو الـثَّـبَـجَـا[٨]
كـم لِـطَـرْفـي فـي الـكَـرَى مِـنْ رِقْـبَـةٍ لِـيَـرَى لِـلـطَّـرْفِ فـيـهِ مَـنْـهَـجَـا[٩]
أتـــرى آســـادَهُ فـــي وَهَـــنٍ مِـنْ سُـهـادٍ ظـلَّ فـيـه مُـدْلِـجَـا[١٠]
آه مِـنْ عَـسْـجَـدِ شِـعْـرٍ صُـغْـتُـهُ وأراهُ فـي الـهَـوَى قَـدْ سَـمُـجَـا[١١]
لَـوْ رأى قَـيْـصَـر مِـنْـهُ مـا رأوا صَـاغَ مـنـهُ لِـمُـلـوكٍ دُمْـلُـجَـا[١٢]

ولم يشتغل رحمه اللَّه بالتأليف مع أنه أهل له، ولو وجَّه نفسه إليه لجاء بما يعجز عنه غيره. ولعلّ السبب في ذلك محبته للخمول حيّاً وميتاً. وكتب من نفائس الكتب بخطه شيئاً كثيراً. وكنت أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك مع شغلته

---

(١) السَّبَجُ: خَرَزٌ أسود.
(٢) الأفنان: الأغصان، الواحد: فَنَنٌ. الغَنِجُ: الذي يدلُّ على محبوبه بتكَسُّرٍ وملاحة.
(٣) الأعطاف: جمع العِطْف: جانب الجسد من الرأس إلى الورك. اللبُّ، والحِجَى: العقل.
(٤) اللُّجَجُ: جمع اللُّجَّة: معظم البحر، وتردُّد أمواجه.
(٥) المُرْتَجُ: المُقْفَلُ.
(٦) العَقْوَةُ: الموضع المُتَّسع أمام الدار، أو المحلة، أو حولهما. وَشَجَ الشيء وَشْجاً، ووشيجاً: تداخل وتشابك والتفَّ.
(٧) العوالي: جمع العالية: النصف الذي يلي السنان من القناة. السُّرُجُ: جمع السِّراج: المصباح.
(٨) النَّوى: البُعْدُ. الثَّبَجُ: وسط الشيء إذا تجمَّع وبرز، ومنه: ثَبَجُ البحر، وثبج الأكمة.
(٩) الكرى: النوم. المنهج: الطريق.
(١٠) الوهن: العجز والضعف. السُّهاد: السهر وامتناع النوم. المُدلج: من أدلج الرجل: سار في آخر الليل.
(١١) العَسْجَدُ: الذهب. سَمُجَ الشيءُ: قَبُحَ.
(١٢) الدُّمْلُجُ، والدُّمْلُوجُ: سِوارٌ يحيطُ بالعَضُد.

بالتدريس، فسألته بعض الأيام عن هذا فقال: إنه لا يترك النسخ يوماً واحداً، وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً أو سطرين، فلزمت قاعدته هذه فرأيت في ذلك منفعةً عظيمةً. وكان له رحمه اللَّه ميل إلى السيد العلَّامة أحمد بن مُحمَّد بن إسْحَاق، وخرج معه من صنعاء إلى وصاب أيام وقوع الحرب بينه وبين الإمام المهدي العبَّاس بن الحُسَيْن، وانتفع بصحبته. وكان يعينه على أمور دنياه. وكان له لطائف وظرائف وكلمات مستحسنة، منها أنه كان بعض أبناء الأكابر يتصل به ويقرأ عليه ويديم الجلوس معه وهو فائق الجمال بديع الأوصاف، فتزوج وانقطع عنه فقيل له في ذلك، فقال: انصرف ندمان لوجود ندمانة، فتمَّت له الإشارة إلى الواقع مع مراعاة التوجيه بالقاعدة النحوية على أحسن أسلوب. ولم يزل رحمه اللَّه مستمراً على حاله الجميل حتى توفّاه اللَّه في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف، ورثيته بقصيدة مطلعها: [من الكامل]

هَبْ أنَّ بَدْرَ الأفقِ يوماً يأفلُ أو أنَّه يَهْوي السِّماكُ الأَعْزَلُ[1]

٢٩٥

(السيد عليّ بن إبراهيم بن مُحمَّد بن إسْمَاعيل بن صَلاح الأمير)[2]

حفيد السيد مُحمَّد صاحب التصانيف الآتي إن شاء اللَّه. ولد شهر ذي القعدة سنة ١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف، وقرأ في العربية والحديث، واستفاد في أسرع مدة، مع أنه لم يشتغل كثيراً، ولكنه مفرط الذكاء سريع الفهم قوي الإدراك جيد الفطنة، يتوقد ذكاءً، فصيح العبارة فائق النظم والنثر، وله مصنفات منها: (السِّرُّ المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون)، و(رسالة في تحريم تحلية السلاح بالذهب)، و(تأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى)، و(كتاب النفحات الربانية واللمحات الرحمانية في إحراز ذخائر الصلات بإبراز ضمائر الصلوات)، و(الفتح الإلهي بتنبيه اللّاهي)، وكلها حسنة. وحجّ مراتٍ، وتردّد ما بين صنعاء ومكة، ومال إلى الأدب، ونظم القصائد الطنانة والمقاطيع الحسنة، وأكثر من ذلك، واشتهرت أشعاره، وطارت في الأقطار اليمنية، واشتغل بها الناس وكتبوها وحفظوها، وكان يكثر من مطارحة الأدباء ومجالستهم ومجاذبتهم لِلَّطائف وفنون الأدب. ثم انجمع وترك الشعر، والتفت إلى العبادة والأذكار والوعظ وتعليم العامة

(١) يأفلُ: يغيبُ. السِّماك الأعزل: نجم نَيِّرٌ يطلع في الجنوب، يقابله السِّماك الرامح في الشمال.
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٧؛ نيل الوطر: ٢/ ١١٠؛ هدية العارفين: ١/ ٧٧٤؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٦٦٤؛ الأعلام: ٤/ ٢٥٢.